

جوانب من إبستمولوجيا التاريخ والجغرافيا

إنجاز ذ. عبد المنعم اعبابو

إن تراكم نتائج التفكير العلمي عبر العصور والحضارات، وتطوره بفضل جهود العلماء والمفكرين والفلاسفة وحرصهم على تجاوز الأخطاء التي وقع فيها من سبقوهم وإعادة النظر في القوانين العلمية ومدى ملائمتها وموافقتها لمعايير التقدم العلمي ، ساهم في الحاجة لظهور الإبستمولوجيا خلال القرن 19 م مع الفلاسفة الغربيين، والأمر يتعلق بعلم المعرفة أو فلسفة العلوم. إنها فرع من فروع الفلسفة موضوعه العلم بحيث تهتم بنقد المعرفة العلمية بهدف الكشف عن مبادئها وظروف نشأتها وتفسيراتها للواقع من حيث الاهتمام بالمفاهيم والآليات المنهجية والنتائج المتوصل إليها في مختلف العلوم. سنركز فيه هذه المادة على إبستمولوجيا التاريخ والجغرافيا التي تنتمي لحقل العلوم الإنسانية والاجتماعية.

- بالنسبة لمحور إبستمولوجيا مادة التاريخ سنتطرق لتطور الفكر التاريخي، والمدارس التاريخية، وخطوات البحث التاريخي، وتحديد مفهومي الكرونولوجيا والتحقيب، وتفاعلات المجالات التاريخية؛
- بخصوص محور إبستمولوجيا مادة الجغرافيا، سنتناول تطور الفكر الجغرافي، والمدارس الجغرافية، وخطوات البحث الجغرافي، والمفاهيم المهيكلية للمعرفة الجغرافية، وأداة نظم المعلومات الجغرافية.

المحور الأول: إبستمولوجيا التاريخ

المراجع المعتمدة نسخ إلكترونية متوفرة عبر عدة مواقع من خلال محرك بحث Google:

- ✓ وجيه كوثراني، 2012، تاريخ التاريخ.
- ✓ أرنولد توينبي، 1966، الفكر التاريخي عند الإغريق، ترجمة لمعي المطيعي.
- ✓ أحمد محمود صبحي، 1985، في فلسفة التاريخ.
- ✓ عبد الله العروي، 2005، مفهوم التاريخ، جزءان. ط4.
- ✓ المصطفى لخصاضي، 2012، تدريس التاريخ والجغرافيا، حقل التاريخ، المرجعية الفكرية والممارسة الديدكتيكية.

أصل الاشتقاق اللفظي لترجمة كلمة "تاريخ" Histoire, History من كلمة يونانية هي Istoría تم تداولها منذ القرنين 6 و 5 ق.م. وكان يقصد بها "البحث عن المعرفة"، ومع مرور الوقت أصبحت الكلمة تدل على نوع واحد من المعرفة هو معرفة وقائع وأحداث الماضي.

التاريخ علم يهتم بالبحث في وقائع وأحوال وأحداث البشر في الزمن الماضي.. ولقد بلغ علم التاريخ في العصر الحاضر مكانة مرموقة ضمن العلوم الإنسانية والاجتماعية. بحيث أصبحت المواضيع التي يتناولها بالبحث والدراسة حاجة حضارية أساسية لفهم حركة تطور العالم بكل حيثياته وتفصيله.

1- تطور الفكر التاريخي:

يعتبر الماضي الحقل الذي تتناوله المعرفة التاريخية من خلال نقل وقائعه وأحداثه في مجال زمكاني. وقد يكون هذا النقل إما بصيغة رواية شفوية، أو بصيغة التدوين المتناقل من نص إلى نص. وقد شهدت جميع الحضارات الإنسانية هذه المعرفة التاريخية بأشكال مختلفة. وعندما تدون الوقائع والأحداث فإن التدوين يصبح جزءاً من التراث التاريخي الذي يتضمن حمولة من المعارف التاريخية قد يتخللها خيال ولكنها تختزن تجارب إنسانية قامت على آليات من التفكير العقلي.

إن التمييز بين الأسطوري والواقعي في المعرفة التاريخية هو حالة وعي عقلائي لم يتم إدراكها إلا بعد تطور في طرائق التفكير، وبعد تراكم معرفي مهم.

1-1 ميلاد الفكر التاريخي في الشرق القديم:

انطلق الوعي بالتاريخ وبأهميته منذ بزوغ الحضارة المصرية القديمة والحضارات الشرقية الأخرى لما بدأ الإنسان يعي أهمية تسجيل الأحداث التاريخية الكبرى وتنسيبها إلى الملوك والحكام. والدليل على ذلك تلك النقوش الأثرية على جدران المعابد التي تخلّد منجزات الملوك وحروبهم التي ساهمت في توسيع ممالكهم. وكذلك الملاحم والأدبيات المختلفة (ملحمة جلجاميش في بلاد الرافدين منذ 21 ق.م. ، والتراث الصيني القديم، وكتابات كونفوشيوس خلال 6 ق.م. عن التاريخ وأهميته في حياة الناس والحكام...

تكشف دراسة هذه الملاحم والكتابات أن حضارات الشرق القديم اهتمت بتسجيل منجزاتها سواء كانت أحداثاً سياسية أو معارك وحروب أو اكتشافات علمية أو تعليمات فلسفية. هذا الاهتمام الشرقي بالتاريخ توقف عند التسجيل التاريخي للأحداث ولم يصل إلى مستوى طرح السؤال عن مغزى هذا التسجيل (لماذا وكيف). كيفما كان الحال فهذا يدل على وجود وعي بأهمية التاريخ لدى الحضارات الشرقية.

2-1 الفكر التاريخي عند الإغريق

- بداية الوعي التاريخي عند الإغريق (هوميروس) :

يعد الشاعر الملحمي هوميروس الذي عاش حوالي منتصف ق.9 ق.م، أول من وعى أهمية التاريخ في الفكر الإغريقي من خلال ملحمة "الإلياذة" التي تروي قصة حصار طروادة اعتمادا على الروايات الشفهية. والتي أصبحت لاحقا تشكل مصدرا للمؤرخين يستندون عليها لمعرفة بعض أسرار هذه الحرب. يؤكد أرنولد توينبي أن الأشعار الملحمية لهوميروس شكلت أصل بداية الفكر التاريخي عند الإغريق. لقد وضعت الأشعار الملحمية لكل من الإلياذة والأوديسا الإنسان الإغريقي أمام قسم من تاريخه القديم حتى يتأمله ويأخذ من العبرة والمثل. كما ساهمت في أنسنة التاريخ الأسطوري الإغريقي من خلال القيم الأخلاقية السامية التي عبرت عنها حتى تتجلى منفعة رواية الأحداث والوقائع الماضية (الحب، الوفاء، الحرية...).

- تأسيس علم التاريخ (هيرودوت وثوسيديديس) :

تعتبر كتابات هيرودوت (ق. 5 ق.م). البداية الفعلية لاهتمام الإغريق بالتاريخ، ويعدّ أول من حقق الشروط العلمية أثناء تأريخه للوقائع والأحداث (كتاب تاريخ هيرودوت)، وكما أجمع جل المؤرخين فإنه يعتبر "أبو التاريخ". لقد كان يبحث في أسباب الوقائع والأحداث الماضية (الصراع بين الفرس والإغريق، غزو الفرس لمصر) ويحاول الوصول إلى المصادر الأصلية لبعض الروايات الإغريقية التي سمع بها. لقد بلغ الوعي التاريخي عند هيرودوت إلى مستوى دعم رواية الحدث التاريخي بالوصف الجغرافي (ارتباط التاريخ بالجغرافيا).

كما تطور الوعي التاريخي الإغريقي بشكل أكثر على يد مؤرخ آخر عاصر هيرودوت وهو ثوسيديديس الذي أرخ للحرب البيلوبونيسية بين مدينتي أثينا وإسبرطة خلال أواخر القرن 5 ق.م. لتشمل جل المدن الإغريقية. وقد كان أسلوبه في التأريخ موضوعيا ومحايذا ومركزا وبعيدا عن كثرة التفاصيل، واعتمد في مصادره على معاشته لأحداث الحرب، والمعلومات المستمدة من الرواة، ووثائق عبارة عن معاهدات، والشواهد الأثرية.

3-1- الفكر التاريخي عند الرومان:

ألف المؤرخون الرومان أمثال: تيت ليف، سالوست، تاسيت، كتبوا تاريخية ذات جودة أدبية عالية، ولما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، تحول التاريخ إلى أيدي رجال الدين وصار خاضعا لللاهوت مسخرا له.

في القرن الرابع عشر ظهرت بعض الكتب التاريخية التي تميزت بتحكيم العقل ورفض الأساطير التي تتنافى مع المنطق. من هذه الكتابات كتاب **فلافْيوس بلوندوس** الإيطالي وهو معاصر لـ **ابن خلدون**. كذلك مذكرات الفرنسي **فيليب كومين** الملقب في فرنسا بأبي التاريخ الحديث.

1-4- تطور الفكر التاريخي عند العرب:

تميزت الحضارة العربية الإسلامية خلال العصر الوسيط بضخامة الكتابة التاريخية العربية بفضل عدة عوامل:

- تاريخية الإسلام، أي أن الديانات السماوية الثلاث ذات جذر تاريخي واحد هو الجذر الإبراهيمي؛
- الحاجات الفكرية والعملية والسياسية والتنظيمية، بفعل قيام الدولة الإسلامية والفتوحات؛
- عوامل أخرى مرتبطة بوضع التقويم الهجري، والاهتمام بالأنساب، والفعاليات الثقافية (شعر، أدب)، وتشجيع الخلفاء للرواية التاريخية والتدوين التاريخي، والحركة الثقافية والأدبية والسياسية التي حملتها شعوب غير عربية دخلت الإسلام (الحركة الشعوبية)، وظهر مادة الورق وانتشارها.
- ساهم عاملان أساسيان في تحديد مكونات المعرفة التاريخية خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وهما: العامل الإسلامي (نشأة العلوم الإسلامية) والعامل القبلي (انتظام القوى الاجتماعية في عصبية قبلية). وانقسمت الدراسات التاريخية إلى اتجاهين: اتجاه أهل الحديث أو الاتجاه الإسلامي، والاتجاه القبلي. ونجد التلاقي الفكري بين هذين الاتجاهين في أعمال المؤرخ والمفسر الطبري (كتاب "تاريخ الرسل والملوك" و "كتاب التفسير").

لقد تحدد عنصر الكتابة التاريخية عند العرب خلال هذه الفترة بأمرين هما: الخبر كوحدة متكاملة، والسنة أو الحول كحامل زمني للخبر. وفي هذا الإطار شهدت الكتابة التاريخية ثلاثة أنواع:

- **التاريخ العالمي** أو التاريخ العام أو الموسوعي: وبرز فيه كل من أحمد بن إسحاق اليعقوبي (تاريخ اليعقوبي)، و محمد بن جرير الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، و أبو الحسن المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وكلهم عاشوا ما بين القرنين 3 و4 الهجريين / 9 و10 الميلاديين؛
- **التاريخ المحلي**، تاريخ المدن والأقاليم: ساهمت الانقسامات الجغرافية التي شهدتها الخلافة الإسلامية، والحواسر التي كانت مسرحا للفتوحات الإسلامية، في ظهور هذا النوع من المعرفة التاريخية (تاريخ بغداد لأحمد طيفور، تاريخ الموصل لأبي زكريا الأزدي، تاريخ الاسكندرية لمحمد النويري...);
- **المذكرات**: كتابة تاريخية بطلب من سلطان أو أمير بهدف تخليد أعماله أو معاركه أو إنجازاته. وقد اهتمت المعرفة التاريخية العربية خلال العصر الوسيط بترتيب مادتها حسب المواضيع التالية:
- التأريخ حسب تعاقب الدول في شخص خلفائها وسلطينها؛
- التأريخ حسب "الطبقات" أو صنف شخصيات تنتمي إلى جيل واحد (طبقة الصحابة مثلا)؛
- ترتيب المواضيع بحسب الأنساب (الأسر والقبائل)، نموذج "أنساب الأشراف" للبلاذري ؛
- التراجم والسير ؛
- الجغرافيا مع حركة الفتوحات؛
- السياسة والإدارة والاجتماع والاقتصاد؛
- الفلسفة ، خاصة مع ابن خلدون في "مقدمته" حول فلسفة طبائع العمران وتطور الاجتماع البشري.

يعتبر الإسناد (إسناد الأحاديث النبوية المروية) من أهم الإنجازات المنهجية في عملية تدوين الأخبار المتناقلة والمتداولة التي شهدتها تطور الفكر التاريخي الوسيط عند العرب المسلمين حتى ق 4 هـ / ق 10 م (تاريخ الطبري).

غير أن مع ابن خلدون سيشهد الفكر التاريخي خلال ق 8 هـ / ق 14 م نقلة نوعية بحيث سخر مجموعة من العلوم (الجغرافيا، وثائق الخراج...) لدراسة التاريخ. ويعتبر أول من دعا إلى استقلال علم التاريخ عن العلوم الشرعية الإسلامية (الحديث، التفسير...)، ويقول في مقدمته: "هذا العلم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني". إن هذه الاستقلالية بمثابة حالة فكرية دعا إليها ابن خلدون لأخذ موقع حيادي يسمح بالنظر إلى الأشياء عبر مسافة نسبية بعيدا عن السياسة والخطابة وأدب السيرة والحديث والفقه، والتركيز على مبدأ مطابقة الخبر لأحوال الاجتماع البشري.

5-1- تطور الفكر التاريخي عند الأوروبيين:

تميز الفكر التاريخي بأوروبا خلال القرون الوسطى بسيادة النظرة المسيحية التي اعتبرت الزمن التاريخي هو تحقق للمشئة الإلهية، وكان سرد الأحداث التاريخية يقتصر على رجال الكنيسة لكونهم لوحدهم يحملون خلاص البشرية، ومن أهم المؤرخين الذين عبروا عن هذه الفلسفة التاريخية **القديس أوغسطين** مابين ق 4 و 5 م الذي يقول أن الله أبدي وهو خالق الزمن. ولا يجوز فهم الأبدي ولا وصفه من وجهة نظر المؤقت. ولا يمكن للإنسان فهم العلاقة بين المؤقت والأبدي.

توسع حقل التدوين التاريخي خارج الكنيسة مع بزوغ عصر النهضة الأوروبية خلال ق 15 م، وأصبح الموضوع هو الحدث السياسي عوض المشئة الإلهية. ويعتبر **نيكولو ميكافيلي** الإيطالي أول من مثل هذا التحول خلال ق 16 م، فقد دعا إلى العودة إلى الماضي الإغريقي والروماني كمرجعية تاريخية لاستخلاص قواعد لعلم السياسة وممارستها. ويرى أن حركة التاريخ تسير نظاما عاما له قوانين تشابه القانون الطبيعي.

كما قام **توماس هوبس** خلال ق 17 م باعتماد ترجمة كتاب المؤرخ الإغريقي توسيديديس (حرب البيلوبونيز) في بلورة مفهوم الدولة الحديثة ومدى أهميتها في حماية المجتمع والأفراد اعتمادا على عقد اجتماعي بين الناس باستقلال عن الكنيسة.

ساهمت عوامل أخرى في تطور الفكر التاريخي الأوروبي خلال عصر النهضة، إلى جانب الاهتمام بالرجوع إلى الماضي الإغريقي والروماني، وأهمها:

- الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت؛

- الاكتشافات الجغرافية الكبرى؛

- أفكار عصر الأنوار خلال ق 18م، خاصة مع **مونتسكيو** الذي قدم فكرا تاريخيا عقلانيا يقوم على السببية؛ و**فولتير** الذي يرى أن التاريخ الذي يستحق التدوين هو تاريخ الدول والمجتمعات التي أثر فيها

قادة وملوك "متنورين" قادرين على فعل التجديد؛ و روسو و كوندورسيه الذين ساهمت كتاباتهم في وضع قواعد مستقلة لعلم التاريخ بالاهتمام بالتوثيق ونقد النصوص وتحرير النظرة التاريخية من الغيبيات والخرافات؛

- أثر المنهج التجريبي العلمي القائم على الملاحظة والتجربة في نمو علم التاريخ؛

- انعكاسات الثورة الفرنسية ومساهمتها في نشر وثائق القرون الوسطى والكنيسة.

ساهمت كل العوامل السالفة الذكر في تطور المعرفة التاريخية لاحقاً، خلال ق 19 بأوروبا، فبرزت معالم النقد التاريخي الذي مهد لوضع ضوابط البحث العلمي في مجال التاريخ بألمانيا، وانطلقت بفرنسا عملية التأريخ باستخدام الوثائق استخداماً نقدياً لتعم باقي بلدان أوروبا الغربية.

لقد أثر تقدم العلوم الطبيعية وعلم الاقتصاد السياسي خلال ق 19م في تطور الكتابة التاريخية في أوروبا و ظهور مدارس في البحث التاريخي تتناول عدة اتجاهات وتفسيرات لعلمية التاريخ.

2- المدارس التاريخية :

ساهمت التطورات العلمية والفكرية والسياسية التي شهدتها أوروبا منذ عصر النهضة في تكون مجموعة من المدارس التاريخية تباينت تفسيراتها للوقائع والأحداث الماضية ولقواعد البحث العلمي التاريخي

المدرسة الإنسانية ؛ المدرسة العقلانية؛ المدرسة الرومنطيقية (الرومنسية)؛ المدرسة الوضعية؛ المدرسة التاريخانية؛ المدرسة الماركسية المادية؛ المدرسة البنيوية؛ مدرسة الحوليات.

1-2- المدرسة الإنسانية:

تطورت مع الحركة الإنسانية خلال عصر النهضة الأوروبية التي جعلت الإنسان محور اهتمامها وتفكيرها بعد أن تم تغييبه من طرف الكنيسة الكاثوليكية طيلة القرون الوسطى. لقد ساهم تقدم معرفة الإنسان بالطبيعة وتوصله إلى قوانين تفسرها، في تحرر العقل تدريجياً من التصورات الغيبية إلى اعتماد الملاحظة والتجربة لدراسة مختلف الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وقد استفاد علم التاريخ من هذا التحول الفكري والعلمي. وترتب عن النظرة الجديدة للإنسان انطلاق حركة الإصلاح الديني ومارافقها من حروب بين الكاثوليك والبروتستانت، وتطور الاقتصاد الميركانتيلي (الرأسمالية التجارية) كنتيجة لحركة الاكتشافات الجغرافية الكبرى.

أصبحت الكتابة التاريخية مع هذه المدرسة باللغات الوطنية التي وجدت فيها النخبة السياسية المعلومات التي تبحث عنها، كما تم استنباط علوم جديدة مساعدة لتطور علم التاريخ مثل علم الآثار، وعلم المسكوكات وعلم النقوش.

2-2- المدرسة العقلانية :

استفاد علم التاريخ من أفكار عصر الأنوار خلال ق 18م التي واجهت الكنيسة الكاثوليكية والملكية المطلقة والخرافة بفضل استخدام العقل كمصدر وحيد للمعرفة.

وقد واصل مؤرخو المدرسة العقلانية الكتابة باللغات الوطنية أو اللغات القديمة، وأغلب المؤرخين كانوا فلاسفة والعكس كذلك أمثال فولتير ودافيد هيوم. وقد آمنوا بفكرة التقدم كأمر حتمي لا مفر منه ، فالتاريخ يسير وفق خط تصاعدي. وتم الاتجاه نحو التاريخ الشامل الذي يمس كل جوانب حياة الإنسان السياسية والمادية والثقافية. ووضع مؤرخو هذه المدرسة تحقياً جديداً للتاريخ بحيث تم تقسيمه إلى: قديم ، وسيط وحديث؛ عوض التحقيب الكنسي الذي كان يقسم التاريخ إلى وثني ثم مسيحي.

3-2- المدرسة الرومنسية :

تزعمها مفكرون أكدوا أن الإنسان ليس عقلاً فقط بل كذلك مشاعر ووجدان. وانطلقت من ألمانيا ما بين أواخر ق 18م وبداية ق 19م. اهتم روادها بالبحث عن أصول القوميات التي ينتمون إليها. وتأسست جمعيات عالمة تهتم بعلم التاريخ (مثلاً بفرنسا: مدرسة الوثائق، لجنة الأعمال التاريخية، مدرسة أثينا). وخلافاً للمدرسة العقلانية فقد أعاد مؤرخو هذه المدرسة الاعتبار للعصر الوسيط الفيودالي، واهتموا بالحضارات الشرقية ودرسوا الأصول التاريخية للأمم وعاداتها وتقاليدها. واعتمدوا في كتاباتهم على أسلوب أدبي سلس ومشوق مما أدى إلى إقبال الكثيرين على قراءة كتبهم . وأبرز روادها **Augustin Thierry** و **Jules Michelet** و **François Guizot** .

4-2- المدرسة الوضعية :

هيمن الاتجاه الوضعي على علم التاريخ منذ أواخر ق 19م إلى بداية ق 20م انطلاقاً من ألمانيا. وهو اتجاه يعتبر أن العلوم القائمة على الملاحظة والتجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة، والأمر يتعلق بالعلوم التجريبية، ويمكن تطبيق قوانينها على العلوم الإنسانية والتاريخ. وقد تأثر مؤرخو هذه المدرسة بأفكار الفرنسي **Auguste Comte** مؤسس "الوضعية" التي تعتبر العامل الثقافي محرك التاريخ البشري.

أولت المدرسة التاريخية الوضعية أهمية بالغة للوثيقة المكتوبة عند دراسة أي حدث تاريخي. ولإنجاز موضوع تاريخي يجب تجميع الوثائق، ونقدها، ثم ضبط الأحداث وتنظيمها ضمن سياق سردي كرونولوجي . وأكدت على موضوعية المؤرخ وحياده والتحرر من انتماءاته أثناء دراسته لحدث تاريخي ما. وأبرز روادها **Charles Seignobos** و **Charles-Victor Langlois** و **Ernest Lavisse** و **Theodore Mommsen**.

2-5- المدرسة التاريخانية :

قامت كردة فعل عن تبني المدرسة الوضعية لمنهج العلوم التجريبية في العلوم الإنسانية. لقد تبين أن الظاهرة الطبيعية كمية يمكن قياسها والتنبؤ بتطورها اللاحق، أما الظاهرة الإنسانية كيفية ولا يمكن التنبؤ

بمسارها المستقبلي. مما ساهم في ظهور صراع حول المناهج شمل جميع فروع العلوم الإنسانية مع أواخر ق 19 و بداية ق 20، خاصة بألمانيا.

تؤمن المدرسة التاريخية بالتعارض بين بين علوم الطبيعة والعلوم الإنسانية ، فالأولى تُفسّر الظاهرة الطبيعية والثانية تفهم الظاهرة الإنسانية. وتعتمد على المصادر الوثائقية التي تساعد المؤرخ على فهم مقاصد الفاعل التاريخي (مذكرات، شهادات، تقارير...) أي ممارسة التأويل والبحث عن المعاني الكامنة، وإعادة اكتشاف العالم الذي عاش ضمنه الفاعل التاريخي موضوع البحث. وقد اهتم مؤرخو هذه المدرسة كثيرا بـ: سير الشخصيات المشهورة ودراسة الذهنيات. أبرز روادها **Max Weber** و **Henri Marrou** و **Raymond Aron**.

2-6- المدرسة الماركسية :

تأسست خلال منتصف ق 19 على يد كل من **كارل ماركس** و **فريدريك إنجلز**، وتعتبر هذه المدرسة أن الوعي هو نتاج الواقع المادي وانعكاس له، والإنسان هو الفاعل الرئيسي في الطبيعة والتاريخ. وتسمى القوانين التي تتحقق بفعل النشاط الواعي للإنسان بـ : المادية التاريخية، التي ماهي إلا تطبيق للمادية الجدلية على تاريخ المجتمعات. ولقد أكدت على البعد التاريخي للإنسان القائم على التغير المتواصل، والاهتمام بالتاريخ الطويل المدى أو الشامل، وإسناد الأهمية للعامل الاقتصادي في صنع الأحداث التاريخية واعتماد نمط الإنتاج في تحقيق تاريخ البشرية، والاهتمام بدور الكادحين في صنع التاريخ.

2-7- المدرسة البنيوية :

تطور الاتجاه البنيوي في العلوم الإنسانية خلال ستينيات ق 20 بفرنسا، وهو توجه منهجي تقوم بمقتضاه العلوم استخراج بنيات الظاهرة المدروسة دون النظر إلى عوامل خارجية عنها. وترى هذه المدرسة أن أفعال البشر لا تتحدد بواسطة اختيارات واعية حرة ، وإنما نتيجة للبنيات الكامنة في أفكارهم.

ويعتبر مؤرخو هذه المدرسة أن التطور الإنساني سيرة تواصل وانقطاع في نفس الوقت، وأن البنيات المستترة هي محرك الإنسان والتاريخ. وأعطوا أهمية في دراساتهم إلى علاقات القرابة والأساطير والفن وخاصة الذهنيات، وهي من القضايا التي لا تتغير بسرعة. ومن أبرز روادها **Michel Foucault** و **Louis Althusser**.

2-8- مدرسة الحوليات

ارتبطت هذه المدرسة بالمجلة الفرنسية "حوليات التاريخ الإقتصادي والاجتماعي" ، التي أسسها سنة 1929 كل من **Marc Bloch** و **Lucien Febvre** ، واهتمت بمواضيع جديدة تجمع بين الذهنيات والاقتصاد والمجتمع؛ واعتبرت أن ما يميز شخصية المؤرخ ليس اكتشاف المصادر التاريخية الجديدة ، لكن ما يطرحه من أسئلة وجبهة على تلك المصادر؛ ولم تهتم بالتاريخ القومي؛ واعتبرت أن علم التاريخ يجب أن يهتم بما هو غير مكتوب (الأركيولوجيا و علم الإيقونات)؛ وأعطت أهمية كبيرة لمواضيع تخص العالم المعاصر؛ ودعت إلى التعاون الوثيق بين مختلف العلوم الاجتماعية (علم الاجتماع، الاقتصاد، الجغرافيا).

وتعتبر المرحلة (1956 – 1969) التي تولى فيها المؤرخ الفرنسي **Fernand Braudel** رئاسة المجلة فترة ازدهارها ورواجها عالميا واستبدلت تسميتها بـ : " حوليات. اقتصاديات، مجتمعات، حضارات "، وتأثرت بالتطور السريع للمناهج الكمية وبالماركسية، وهو مايفسر اهتمامها بالقضايا الاقتصادية، كما تأثرت مواضيعها خلال الستينيات بالأنثروبولوجيا البنيوية.

خلال السبعينيات من ق 20 برزت ضمن المجلة أسماء مؤرخين أسسوا لـ : " التاريخ الجديد " مثل **Jacques Le Goff** و **Georges Duby**، وأصبحت موضة الكتابة التاريخية هي المزج بين التاريخ والفلسفة ودراسة البنيات الفوقية وتاريخ الذهنيات.

شهدت المجلة خلال فترة الثمانينيات أزمة عميقة أدت إلى تحول في القضايا التي كانت تطرحها، وبرزت مواضيع جديدة مثل "تاريخ المرأة "، وتمت إعادة الاعتبار للرواية التاريخية وكتابة البيوغرافيات، والعودة للتاريخ السياسي. ومنذ 1994 غيرت المجلة تسميتها إلى " حوليات. تاريخ، علوم اجتماعية " وركزت على مواضيع تهتم بالتاريخ الثقافي، ودور الأفراد في التاريخ، والقضايا الإستمولوجية.

3- خطوات البحث التاريخي

إن الباحث في علم التاريخ يجب أن يسير وفق خطوات ومراحل أثناء معالجته لمشكلة تاريخية حتى يبلغ الحقيقة التاريخية (النسبية بطبيعة الحال) ويطرحها سواء لأهل التخصص أو القراء الشغوفين بالمادة. ويمكن حصر هذه الخطوات في:

1-3- تحديد مشكلة البحث :

اختيار موضوع بحث مخالف لما هو معتاد ومألوف ومثير للشك، مع مراعاة البعدين الزماني والمكاني.

2-3- صياغة فرضيات البحث، أو طرح أسئلة :

خطوة لا بد منها لأنها تحدد مسار البحث وتساعد على جمع المعلومات والمعطيات، كمية أو كيفية. بالنسبة للفرضيات هي عبارة عن أجوبة مؤقتة أو توقعات لحل مشكلة البحث. أما الأسئلة فهي تخمين للحل وتصاغ باستخدام أدوات الاستفهام (لماذا، كيف...). وتعتبر الفرضيات والأسئلة ضمناً عن أهداف البحث المتوخى الوصول إليها.

3-3- جمع المعلومات والمعطيات والمادة المرتبطة بمشكلة البحث :

يمكن إجمالها فيما يلي:

- وثائق وسجلات سواء صادرة عن جهات رسمية أو حكومية أو مهنية...؛
- سجلات إلكترونية...؛
- دوريات علمية...؛
- تراث منقول شفهي...؛
- سجلات شخصية...؛
- شواهد وآثار مادية ونصية...

4-3- نقد المعلومات والمعطيات و المادة المرتبطة بمشكلة البحث :

نهج مبدأ الشك أثناء معالجة المادة المتوفرة للتأكد من مدى صحتها وموضوعيتها بهدف الوصول إلى نتائج علمية دقيقة.

3-5- تحليل المعلومات والمعطيات :

البحث عن الأسباب والعوامل المفسرة للمشكلة المدروسة، والتأكد من مدى صحة الفرضيات أو ضحدها، وتدوين النتائج.

3-6- كتابة البحث وتوثيقه :

استعراض ما تم التوصل إليه، وإبداء الرأي من خلال توصيات ومقترحات وما فهمه من موضوع البحث؛

4- الكرونولوجيا والتحقيب :

يعتبر مفهوما : **الكرونولوجيا Chronologie** و **التحقيب Périodisation**، من بين المفاهيم المؤسسة لعلم التاريخ، وهما مرتبطان بمفهوم بنائي أساسي لا يمكن لعلم التاريخ أن تقوم له قائمة بدونه ، وهو مفهوم **الزمن التاريخي** الذي يشكل إطارا هندسيا ينظم تعاقب الأحداث. وتجدر الإشارة إلى أن حركة الزمن التاريخي تتخللها العديد من المسارات (تحول، تراجع، تغير، تباطؤ، سرعة).

4-1- الكرونولوجيا Chronologie

قد يصطلح عليها كذلك بـ علم التسلسل الزمني، وهو علم يساعد التاريخ في ترتيب الأحداث وفق مجالها الزمني وتعاقبها. والكلمة مشتقة من اللغة اليونانية : **chronos** وتعني الزمن، و **logos** وتعني علم. تساعد الكرونولوجيا على تمثيل الزمن بواسطة سلسلات من التواريخ وأسماء الأعلام والمواقع والأحداث الكبرى (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، عسكرية...)، التي تبين توالي وتعاقب العصور والفترات. إنها تقطيع زمني لتطور الأحداث التاريخية. وتساعد على فهم السياقات و الخلفيات التي تطورت فيها المجتمعات . غير أن الكرونولوجيا تطرح بعض المشاكل لموضوعة الأحداث التاريخية في الزمن، مثلا عند التعبير بالتقويمين الميلادي والهجري .

4-2- التحقيب Périodisation

تعتبر الحقبة **Période** وحدة زمنية متميزة خاصة بظاهرة معينة تنساب بين حدين يمثلان بداية ونهاية. ويعني التحقيب " تقسيم التاريخ في الزمن إلى حقب متميزة"، قد يهم تاريخ عالمي شامل أو قد يخص تاريخ حضارة مابين بزوغها وانحلالها أو تاريخ أمة أو بلد أو جماعة. بالنسبة لعبد الله العروي (1984)، "إن الحقبة التاريخية ليست فترة زمنية فارغة ، وإنما هي نظرية مستنبطة بعد دراسة الشواهد بواسطة التقنيات المستحدثة".

ترتبط عملية التحقيب بالمناهج والمدارس التاريخية مما ساهم في اختلاف التحقيقات حسب انتماء واضعيها، ووفق معايير متعددة :

- التحقيب عند العرب :

تم تقسيم التاريخ الإسلامي إلى حقب تفصل بين الواحدة والأخرى حادثة سياسية : الهجرة النبوية؛ الحقبة الراشدية؛ الحقبة الأموية؛ الحقبة العباسية. (انظر "الكامل في التاريخ" لابن الأثير)

- التحقيب الأوروبي :

تم اعتماد عدة معايير في عملية التحقيب أهمها:

✓ **معيّار التقسيم الثلاثي الكرونولوجي للمفكر الألماني Christoph Cellarius** خلال ق 17م ، بحيث قسّم التاريخ الأوروبي إلى: تاريخ قديم ينتهي بسقوط روما سنة 476 م؛ وتاريخ وسيط ينتهي بسقوط القسطنطينية سنة 1453 م؛ ثم تاريخ حديث ينطلق مع النهضة الأوروبية؛

✓ **مقياس التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية**، مع المدرسة المادية الماركسية، بحيث تم تحقيق التاريخ إلى: 1- مشاعة بدائية؛ 2- حقبة العبودية؛ 3- حقبة الفئودالية أو الإقطاعية؛ 4- حقبة الرأسمالية؛ 5- حقبة الشيوعية.

✓ **مقياس درجة التطور الاقتصادي** الذي حَقَّب التاريخ إلى : 1- مرحلة الاقتصاد الطبيعي؛ 2- مرحلة الاقتصاد النقدي؛ 3- مرحلة اقتصاد القروض.

✓ **مقياس درجة التقدم التكنولوجي**، تم بواسطته تحقيق التاريخ البشري إلى : 1- مرحلة الهمجية؛ 2- مرحلة البربرية؛ 3- مرحلة الحضارة.

ويبقى التحقيق المثير للجدل بين الباحثين في حقل التاريخ هو التحقيق الأوربي الثلاثي، خاصة في أوساط المؤرخين المنتمين للعالم الثالث الذين يرون فيه تكريس للتبعية الفكرية والثقافية للمركزية الأوربية. وفي هذا السياق سنعتمد اقتراح لتحقيق وطني من إنتاج المفكر والمؤرخ المغربي عبد الله العروي كمثال (انظر: "مجمل تاريخ المغرب")، بحيث يتضمن 4 حقب:

- الحقبة الأولى : طويلة جد، كان المجال المغربي خلالها منفعلا ومتأثرا بالمبادرات الخارجية، وامتدت حتى أواسط ق 8م؛

- الحقبة الثانية: بدأت مع اعتناق الدعوة الإسلامية وخلالها أخذ المغرب بزمام المبادرة التاريخية، وامتدت حتى بداية ظهور الخطر الأجنبي في ق 16م؛

- الحقبة الثالثة: تزايد خلالها الخطر الأجنبي، وامتدت حتى مطلع ق 19م؛

- الحقبة الرابعة : بدأت مع ق 19م وتميزت بالمواجهة بين الكتابة التاريخية اللاتونية/ الاستعمارية، والكتابة التاريخية الوطنية/ المغربية.

ولا يجب أن ننسى كذلك التحقيقات الوطنية التي اقترحها كل من الأساتذة: أحمد التوفيق ، جرمان عياش ومحمد عابد الجابري.

يتضح مما سبق، أن عملية التحقيق، حسب كل مؤرخ، تتأثت على قوامين:

- قوام أثري، والأمر يتعلق ب: الوثيقة؛

- قوام تفسيري، أي تقدير أهمية الأحداث والوقائع التاريخية المبررة للاقتراح.

التحقيق ذو أهمية على المستويين الأكاديمي (البحث التاريخي)، والمدرسي (الممارسة اليداكتيكية) وتتضح من خلال تقديمه المساعدة على البحث عن القوانين المتحركة في الظواهر التاريخية؛ واعتباره بمثابة أداة فكرية تسهل عملية حصر حدود موضوع الدراسة أو البحث؛ ويمكن من المقارنة بين مختلف الفترات التاريخية مما يساهم في تعميق الوعي التاريخي.

5- تفاعلات المجالات التاريخية

إن دراسة الوقائع والأحداث الماضية للإنسان بمختلف مستوياتها هي من صميم موضوع التاريخ، وبالتالي هناك تفاعلات بين كل ماهو اقتصادي واجتماعي وسياسي وثقافي وذهني وسكاني.ويمكن التمييز ضمن هذه التفاعلات بين مجموعة من الاتجاهات التي شهدتها الكتابة التاريخية.

5-1- التاريخ السياسي الكلاسيكي

يهتم موضوع التاريخ السياسي بسرد أحداث ووقائع الماضي السياسية والعسكرية والدبلوماسية اعتماد على الحدث و الوثيقة المكتوبة. بحيث يبقى المؤرخ وثيق الارتباط بتاريخ الدولة وإيديولوجيتها. وقد أثرت المدرسة الوضعية بأوروبا في هذا النوع من الكتابة التاريخية على اعتبار أنها تولي أهمية كبيرة للوثيقة المكتوبة. فقد حرص مؤرخو التاريخ السياسي على استخدام الأرشيف لإثبات صحة الأحداث (الوثائق الرسمية، السجلات، المذكرات الشخصية)، ومن أبرز مؤرخي هذا المجال والذي اعتمد على الوثائق الرسمية والمستندات الحكومية والأخبار الدبلوماسية، في كتاباته التاريخية السياسية والعسكرية دون التطرق للجوانب الاجتماعية والاقتصادية نذكر المؤرخ الألماني **Leopold von Ranke** (1795 – 1886) الذي أكد في كتابه "تاريخ ألمانيا في فترة الإصلاح": " لن تتم صناعة التاريخ إلا من خلال الشهادات المباشرة والمصادر الأكثر أصالة ومصداقية" .

مثلّ هذا التيار بالمغرب الأستاذ جرمان عياش (1915 – 1990)، الذي اعتمد في كتاباته السياسية عن تاريخ المغرب على الوثائق المخزنية والقبيلية والمراسلات والتقارير. يقصي التاريخ السياسي الحدثي الحركية الاجتماعية والاقتصادية التي تشكل أساس التطور الإنساني، مما لا يسمح بالإحاطة بالحدث وتشكيله .

5-2- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي:

الأمر يتعلق بدراسة ظواهر تاريخية ذات مضمون اقتصادي واجتماعي خلال فترة معينة قد تهتم بلد واحد أو عدة بلدان.

تساهم الدراسات من هذا النوع في تفسير العلاقات المتبادلة بين العمليات الاقتصادية والاجتماعية في بلد ما. على سبيل المثال التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها أوروبا الغربية إبان الثورة الصناعية في ق 18م والمتمثلة في بروز الرأسمالية الصناعية وتطور طبقتين اجتماعيتين متناقضتين (البورجوازية والعمال). ويعتبر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي أن المحرك الأساسي لتطور الأمم هو إنتاج الثروة . يتضح إذن أن العلوم الاقتصادية ساهمت بقسط وافر في تطور علم التاريخ (علم الإحصاء، النظرية الكمية للنقود...). ومن أبرز المفكرين الذين أثاروا أهمية العامل الاقتصادي في تشكيل التغيرات التاريخية واستفاد منه المؤرخون المهتمون بهذا المجال، نذكر الفيلسوف الاسكتلندي **Adam Smith** (1723 – 1790) مؤلف كتاب " أبحاث حول طبيعة وأسباب ثروة الأمم"، و الاقتصادي الإنجليزي **David**

Ricardo (1772 – 1823)، و المفكر الألماني كارل ماركس (1818 – 1883) الذي أكد في كتاباته على أهمية العامل الاقتصادي في صنع الأحداث التاريخية.

في سياق هذا النوع من الكتابة التاريخية ساهم مجموعة من المؤرخين المغاربة بأطروحات قيمة مثل دراسة **عمر أفا** (مسألة النقود في تاريخ المغرب في ق19م)، التي درس من خلالها العملة المغربية وكل مايتعلق بصناعتها ورواجها وصرفها في ق19م، ودراسة **ابراهيم حركات** (النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط) التي قارن فيها بين المجتمع الإسلامي والمجتمع المغربي في عدة ميادين اقتصادية واجتماعية مابين القرنين 7 و 15م.

3-5- الديموغرافية التاريخية :

ظهر هذا المجال من الدراسات التاريخية خلال منتصف ق20م بفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، وتهتم بدراسة التطور الاقتصادي بالعودة إلى الأوضاع الديموغرافية، ودراسة التوزيع الجغرافي للسكان وبنيتهم، والتيارات الهجروية. وقد لقيت هذه الدراسات دعما من المعهد الوطني للدراسات الديموغرافية INED الذي أسسه **Alfred Sauvy** (1898 – 1990).

اعتمدت الديموغرافية التاريخية على مصادر متنوعة لإنجاز الدراسات ك : الإحصاء العام للسكان، والحالات المدنية، والسجلات الكنائسية.ومن بين أهم المواضيع التي ركزت عليها : آثار الأوبئة والمجاعات على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية؛ ولقد ساهمت في الرفع من قيمة التقدير الكمي كأداة لتحليل الظواهر التاريخية.

من أبرز الدراسات المغربية التي اهتمت بالديموغرافية التاريخية، دراسة **Bernard Rosenberg** و **حميد التريكي** حول المجاعات والأوبئة بالمغرب في القرنين 16 و 17م ؛ وأطروحة **محمد الأمين البزاز** حول تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و 19م.

4-5- تاريخ الذهنيات :

مجال تاريخي جديد يهتم بدراسة أشكال الأفكار والمعتقدات والطقوس والأحاسيس والمشاعر المرتبطة بعصر ما. والفضل في وضع لبنات هذا النوع من الدراسات التاريخية يعود إلى المؤرخ الفرنسي **Henri Fernand Berr** (1863 – 1954) مؤسس *Revue de synthèse* حيث تم نشر مواضيع تعطي الأهمية للمعطيات النفسية ودور التصورات والتمثلات في سلوكيات الأفراد والجماعات مدشنة بذلك مجال جديد في الكتابة التاريخية سيعرف بتاريخ الذهنيات. وطورت "مدرسة الحوليات" هذا الاتجاه الجديد خاصة مع المؤرخ الهولندي **Johan Huizinga** (1872 – 1945) الذي أولى اهتماما في كتاباته التاريخية لـ : اللعب والمجون والخيال. غير أن بعد الحرب العالمية الثانية ستؤثر الديموغرافية التاريخية في تأسيس تاريخ الذهنيات بدعمه بالوثائق والمعطيات الكمية. وبموجب ذلك أصبحت مواضيع تاريخ

الذهنيات تهتم بكتابة تاريخ الشعوب ذات الثقافة الشفاهية، ودراسة مواضيع الطقوس والموت والخوف والجسد والأعياد والتغذية... وهكذا ساهم مجال الذهنيات (العقليات) في توسيع أفق بحث المؤرخ وذلك بطرح قضايا جديدة وتنويع المواضيع المدروسة.

المحور الثاني: إبستمولوجيا الجغرافيا

المراجع المعتمدة نسخ إلكترونية متوفرة عبر عدة مواقع من خلال محرك بحث Google:

✓روني كلوزيه، 1982، تطور الفكر الجغرافي، ترجمة: عبد الرحمن حميدة.

✓محمود أبو العلا، 1998، الفكر الجغرافي.

✓صلاح الدين الشامي، 1999، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة.

✓عيسى علي ابراهيم، 2000، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية.

✓المصطفى لخصاضي، 2012، تدريس التاريخ والجغرافيا، حقل الجغرافيا، المرجعية الفكرية والممارسة الديدانكتيكية.

- Amor belhedi, 2010, Epistémologie de la géographie.

أصل تسمية الجغرافيا مشتق من اللغة الإغريقية بكلمة مركبة من : **Gê** وتعني الأرض، و **graphein**

وتعني كتابة أو وصف، أي الكتابة عن الأرض أو وصف الأرض. وأول من اصطلح هذه التسمية هو عالم

الرياضيات والفلكي والجغرافي الإغريقي إراتوستينس **Ératosthène** (276 ق.م – 194 ق.م).

لقد تعددت تعاريف الجغرافيا بحكم موقعها بين العلوم الطبيعية (الجيولوجيا، البيولوجيا...) والعلوم

الإنسانية/الاجتماعية (الاقتصاد، السوسيولوجيا...)، إنها صلة وصل بين الظواهر الطبيعية والظواهر

البشرية، وتدرس العلاقات القائمة بينهما. هناك من اعتبرها دراسة ووصف لمختلف مظاهر سطح

الأرض؛ ومن اعتبرها بمثابة وصف علمي للأنشطة البشرية وحركته داخل المجال؛ ومن عرفها بأنها علم

يهتم بدراسة الأرض والسكان من خلال تحليل المعطيات الطبيعية والبشرية.

إن نتائج التفاعل والتكامل والترابط بين الظواهر الطبيعية والبشرية داخل المجال هو موضوع الجغرافيا.

وبالتالي فإن الجغرافيا تعد علما مركبا بفعل ارتباطها بعلوم أخرى.

تحتاج الجغرافيا إلى الدفاع عن مكانتها وسط باقي العلوم حتى يستمر عطائها المعرفي وذلك من خلال

إبراز رصيدها الفكري وإبداعها النظري والتطبيقي الذي يميزها عن العلوم الأخرى. إنها علم يتميز عن

مختلف العلوم بـ "النظرة الشمولية التي ينفرد بها في رؤية الحقائق والعلاقات مجتمعة في إطار المجال

(النظرة الجشطولتية)؛ والنظرة التكاملية للعلاقة بين الإنسان والطبيعة". وسنعرض في مايلي موجزا عن

أهم التطورات التي شهدتها الفكر الجغرافي، والمدارس الجغرافية، والخطوات التي يجب أن يسلكها

الجغرافي لإنجاز أبحاثه، والمفاهيم المهيكلية للجغرافيا.

1- تطور الفكر الجغرافي

شهد الفكر الجغرافي عدة تطورات منذ كتابات الإغريق القدامى خلال ق 5 ق.م. حتى الفترة الحالية.

1-1- الفكر الجغرافي القديم (من ق 5 ق.م. إلى سقوط الإمبراطورية الرومانية خلال ق 5 م.)

ساهم الرحالون الإغريق (أو الرحالة) في انطلاق الفكر الجغرافي اعتماد على ما خلفوه من كتابات حول وصف البلدان التي زاروها أو عبروها، وخاصة ما كتبه هيرودوت خلال ق 5 ق.م. عن وصف الأماكن والمناطق التي زارها في شمال إفريقيا وغرب آسيا.

لقد أثار شكل الأرض اهتمام الفلاسفة الإغريق حتى توصلوا مع المدرسة الفيثاغورية (نسبة إلى مؤسسها فيثاغوراس Pythagore (580 – 495 ق.م.)) إلى فكرة كروية الأرض، وتم تمييز خمس نطاقات على سطحها: نطاق حار في الوسط؛ ونطاقان متجمدان في أقصى الشمال والجنوب؛ وبينهما نطاقان معتدلان. وكان الإغريق يسمون النطاق المعتدل الشمالي الذي توجد به أثينا بالعالم المعمور أو المأهول L'écoumène. وتعتبر هذه أول محاولة لتنظيم الأقاليم على سطح الأرض وتمييز بعضها عن بعض. غير أن كتابات إراتوستينس في ق 2 ق.م، واستنتاجه كروية الأرض عن طريق ملاحظته اختلاف درجة سقوط أشعة الشمس بين أسوان والإسكندرية بمصر مما سمح له بقياس محيط الأرض، أعطت نفسا كبيرا للمعرفة الجغرافية وخطت بها نحو الأمام.

وساهم الجغرافي الإغريقي سترابون Strabon (حوالي 60 ق.م. و 20 م) في تطور الفكر الجغرافي وقتئذ بكتابة موسوعته الجغرافية التي تتكون من 17 جزءا، وصف فيها إيبيريا وإيطاليا، والسواحل الأوربية للبحر الأسود، وبلاد اليونان، والسواحل الآسيوية للبحر الأسود والقوقاز وآسيا الصغرى، وبلاد فارس والهند مستمدا معلوماته من المؤرخين الإغريق الذين رافقوا حملة الإسكندر الأكبر خلال ق 4 ق.م، كما وصف بلاد العراق وسوريا وفلسطين والبحر الأحمر ومصر والسواحل الإفريقية للبحر الأبيض المتوسط. وكانت معلوماته دقيقة عالجت أهمية الموقع والترابط المتبادل بين مختلف أمكنة سطح الأرض. ساهمت عملية الوصف الجغرافي مع الإغريق في أن أصبح للمكان مدلولين: - الموقع من خطوط الطول والعرض (مدلول فلكي)؛ - والموضع في علاقته بالأماكن الأخرى (مدلول جغرافي).

وخطا كذلك كلوديوس بطليموس الاسكندري Claude Ptolémée (حوالي 100-168م) خلال ق 2 م خطوة كبيرة بالفكر الجغرافي بتأليفه لـ : الدليل في الجغرافيا، الذي جمع فيه خلاصة الفكر الجغرافي الإغريقي وعزره بمجموعة من الخرائط حدد فيها كل الأماكن الموصوفة حسب مواقعها من خطوط الطول والعرض. وظلت عماد الفكر الجغرافي الأوربي حتى عصر النهضة خلال ق 16 م.

1-2- الفكر الجغرافي الوسطوي (من ق 5 م إلى ق 15 م)

- عند الأوروبيين (أوربا القروسطية، خلال القرون الوسطى) :

بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية ساد الفكر الجغرافي ركودا بفعل تأثره بالبربرية التي سادت أوربا خلال العصور الوسطى وتحكم رجال الدين في الأمور الدينية والدنيوية لدرجة أنهم تولوا الفكر الجغرافي،

وظهر ذلك جليا في الخرائط التي كانت ترسم الأرض بشكل مستطيل ومركزها القدس (أورشليم) لمكانتها الدينية وترسم الجنة إلى شرقها. واعتبرت الكنيسة أن معرفة الأرض أمر خارج عن الدين وارتبطت بعض الحقائق الجغرافية لديها بالكفر والوثنية مثل شكل الأرض وحركاتها. بالمقابل ازدهرت، خلال هذه الفترة، المعرفة الجغرافية ببلاد العرب خاصة مع انتشار الإسلام واتساع رقعته من الصين حتى السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، وباتجاه الأقاليم الاستوائية. وبموجب هذا الوضع سيرفع العرب المسلمون مشعل الفكر الجغرافي الوسطوي عاليا.

- عند العرب والمسلمين:

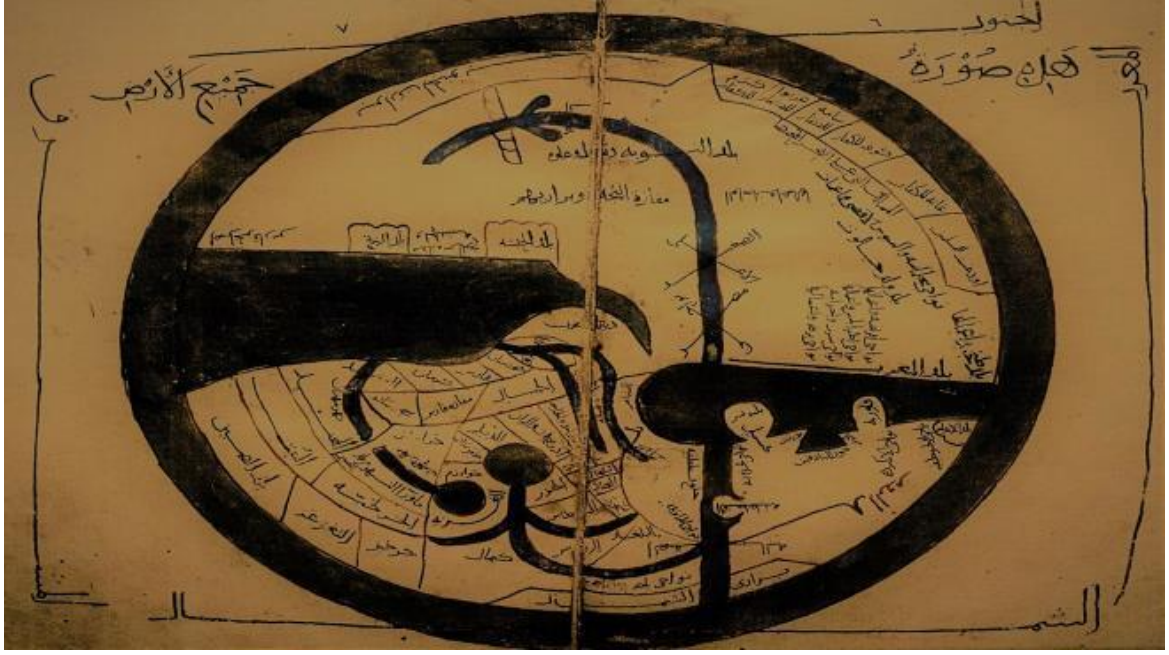
نمت المعرفة الجغرافية عند العرب بعد اتساع رقعة نشر الإسلام شرقا وغربا، فظهرت عدة مؤلفات ومصنفات تنطرق للجغرافيا، وانطلقت عملية النقل والترجمة من اللغات الهندية والفارسية واللاتينية، وتأثر الفكر الجغرافي العربي بالترجمة من اللغة الإغريقية لمؤلفات سترابون وبطليموس. وظهرت مؤلفات تحمل عنوان "رسم صورة الأرض" لما تهتم بالأرض، و"تقويم البلدان" لما تهتم بالفلك، و"المسالك والممالك" لما تهتم بوصف خاص. وقد أخذ الفكر الجغرافي العربي الوسطوي عدة اتجاهات:

- **الجغرافيا الفلكية**، حظيت باهتمام خاص بسبب الرغبة في معرفة التقاويم ومعرفة المواقع والاتجاهات وبرز فيها شمس الدين الدمشقي (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) ، والخوارزمي، والبيروني، وتاج الدين الفزاري الذي طور الأسطرلاب خلال ق 7م، وابن يونس المصري (كتاب الزيج الكبير الحاكمي) الذي قدّر الدائرة الاستوائية بدقة تقترب من قيمتها الحالية...؛

- **جغرافيا الوصف (كتب الرحلات)**، تطورت بفضل توسع الدولة الإسلامية وتناولت مستويين: الدراسة الإقليمية العامة ومن أهم مؤلفاتها "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" لشمس الدين المقدسي ؛ والدراسة الإقليمية الخاصة ومن أهم مؤلفاتها "صفة جزيرة العرب" لأبو محمد الهمداني.

كذلك برز في هذا الاتجاه ابن حوقل (صورة الأرض)، واليعقوبي (كتاب البلدان)، و الأصطخري (كتاب الأقاليم)، والإدريسي (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق). إضافة إلى كتب الرحلات (رحلة ابن جببر، و رحلة ابن بطوطة).

صورة لخريطة ابن حوقل



وقد اعتمد الوصف الجغرافي عند المسلمين على الوثائق المسجلة وكتب التاريخ (الجغرافيا التاريخية).
 - **التفسير الجغرافي**، من خلال إيجاد العلاقة بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها. ونذكر في هذا الصدد : المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر".
 لقد كانت بصمة العرب واضحة في الفكر الجغرافي خلال العصر الوسيط حتى حدود ق 10م، بفضل الإضافة الكمية والنوعية للمكتبة الجغرافية الموروثة عن التراث القديم. غير أن تراجع السيادة العربية بعد ضعف الدولة العباسية سيؤثر كثيرا في هذا التألق الجغرافي العربي، مما سيفسح المجال لاحقا للأوروبيين من جديد مع بزوغ عصر النهضة وانطلاق الاكتشافات الجغرافية الكبرى خلال ق 15م.

1-3- الفكر الجغرافي خلال عصر النهضة الأوروبية

ساهمت التحولات الفكرية والعلمية والفنية التي قادتها الحركة الإنسية بأوروبا الغربية خلال ق 15م، ونتائج حركة الاكتشافات الجغرافية الكبرى خاصة مع البرتغال وإسبانيا التي تم من خلالها الوصول إلى بلاد الهند عبر رأس الرجاء الصالح واكتشاف القارة الأمريكية وتأكيد الشكل الكروي للأرض (رحلة ماجلان)، في انتعاش الفكر الجغرافي الأوروبي من جديد وتطوره خاصة في مجال الخرائطية (الكارتوغرافيا)، التي برز فيها الألمانيان، **Peter Apian** (1495 – 1552)، و **Sebastien Munster** (1488 – 1552)؛ و البلجيكي (الفلاماني) **Gerard De Kremer** (1512- 1594) الذي أنجز الإسقاط الأسطواني Mercator .

سيتأثر الفكر جغرافي خلال ق 17م بعمل باهر قام به الجغرافي الألماني برنار فارينوس **Bernhard Varenius** (1622-1650) من خلال تأليفه كتاب "الجغرافيا العامة"، في نفس سنة وفاته 1650، الذي

وصف فيه الأرض وأقسامها بطريقة كمية معتمدا في ذلك على علم الرياضيات، وميز فيه بين الجغرافيا العامة والجغرافيا الإقليمية، وكذلك بين الجغرافيا البشرية والجغرافيا الطبيعية، مستفيدا من التطور الذي شهدته العلوم.

1-4- الفكر الجغرافي الحديث

تأثرت المعرفة الجغرافية بالثورة الفكرية التي شهدتها أوروبا، و ما ترتب عنها من نظريات علمية جديدة خلال القرن 18م، خاصة مع الفيلسوف الألماني **Emmanuel Kant** (1724- 1804) الذي قدمت فلسفته منها علميا أحدث تحولا في الفكر الجغرافي الذي أصبح يربط بين دراسة الظواهر الطبيعية والبشرية على سطح الأرض. وقد ظهر هذا التحول بجلاء ووضوح خلال ق 19م مع الألمانين:

ألكسندر فون هومبولت Alexander von Humboldt (1769- 1859)؛ و **كارل ريتز Carl Ritter** (1779- 1859)، اللذان عابا على البحث الجغرافي السابق جموده وسطحيته، و تعتبر أعمالهما بمثابة اللبنة الأولى لـ : **الجغرافيا الحديثة**.

بالنسبة لفون هومبولت اهتم بالعلوم الطبيعية وقام بعدة أسفار وجولات عبر أوروبا وأمريكا اللاتينية ثم تفرغ بعد ذلك لإنجاز مؤلفه **Cosmos** (الكون) الذي تضمن كل المعارف المرتبطة بعصره سواء الخاصة بسطح الأرض أو بالكون ، وقد صنف الجغرافيا ضمن العلوم الطبيعية وجعل منها علما يتميز عن باقي العلوم الطبيعية من خلال دراسته لتأثير العامل الطبيعي في تشكيل حياة مختلف الكائنات الحية بما فيها الإنسان (الحتمية). وعند دراسته لظاهرة ما ،كان يبحث عن أسباب وجودها والنتائج المترتبة عنه (مبدأ السببية) ، و ربط الواقع المحلي لهذه الظاهرة مع ظواهر أخرى على سطح الأرض للوصول إلى قانون عام .

كارل ريتز أكد، كمعاصره (فون هومبولت)، على الحتمية في دراسة العلاقة بين المجتمعات و ظروف وإكراهات الوسط الطبيعي الذي تنتمي إليه. وقد أبرز هذه الحتمية الطبيعية في مؤلفه الضخم " دراسة الأرض في علاقاتها بالطبيعة وتاريخ الإنسان". واعتبر الجغرافيا علما تجريبيا يجب أن يهتم بتحليل العلاقات بين الوسطين البشري والطبيعي على أساس إقليمي.

استمر الاهتمام بالنظرة الحتمية في الفكر الجغرافي خلال ق 19م، خاصة مع الألماني **فريدريك راتزل Friedrich Ratzel** (1844- 1904) الذي تحول من دراسة العلوم الطبيعية (الصيدلة وعلم الحيوان) إلى الجغرافيا. وقد بين من خلال مؤلفه انثروبوجغرافيا "Anthropogéographie" أهمية الوسط الطبيعي في التوزيع الجغرافي للمجموعات البشرية فوق سطح الأرض.

خلال أواخر ق 19م سيشهد الفكر الجغرافي ازدواجية في الدراسات الجغرافية، دراسات اهتمت بالعامل الطبيعي أساسا والبشري ثانويا (بريطانيا مثلا) ، والعكس بالنسبة لأخرى (الولايات المتحدة الأمريكية).

ومع مطلع ق 20م سيتسع النقاش بين الجغرافيين منتقدين من خلاله الاتجاه الحتمي (الحتمية الطبيعية) ومعارضته، مما سيفسح المجال لبروز اتجاه جديد في الفكر الجغرافي وهو الاتجاه الإمكاناني.

اعتبر الجغرافي الفرنسي **دو لابلان** **Paul Vidal de La Blache** (1845- 1918) أن الإنسان يمتلك من المؤهلات ما يجعله يتحكم في المجال الجغرافي ويغير معالمه وليس هناك حتمية طبيعية . إن الطبيعة توفر إمكانات، والإنسان بفضل ذكائه يكيفها حسب نوعية الاستغلال؛ الطبيعة تقترح والإنسان يرتب ويختار من الإمكانيات ما يناسب واقعه الاجتماعي ومستواه التقني. إذن نحن بصدد نظرة إمكانية ساهمت في بروز الجغرافيا الإقليمية التي تدرس المناطق لإبراز مميزاتها الطبيعية وطرق استغلالها.

1-5- الفكر الجغرافي المعاصر

حمل الفكر الجغرافي منظورا جديدا، منذ مطلع السبعينيات، تمثل في : استعمال مفهوم المجال كمنتوج اجتماعي (**Hildebert Isnard** ، 1904 - 1983، في كتابه *L'Espace Géographique* الصادر سنة 1978)؛ وإبراز دور الإنسان كمؤثر في المجال ومتأثر به؛ وتبني المناهج الكمية المقتبسة من علم الإحصاء والرياضيات؛ واستثمار طرق الاستشعار عن بعد. لقد تداخلت الجغرافيا مع علوم مجاورة أخرى كالاقتصاد وعلم الاجتماع والعلوم السياسية.

ركزت الدراسات الجغرافية في سياق هذا التحول على: الظواهر المتداخلة التي تشترك فيها مع علوم أخرى ؛ دراسة الآليات الاجتماعية والثقافية لفهم تطورات المجال الجغرافي؛ تحليل المجالات الجغرافية كمنتوج اجتماعي؛ استثمار النماذج الاقتصادية في دراسة المجالات الجغرافية.

2- المدارس الجغرافية

ترتب عن التعارض بين الحتمية الطبيعية *Déterminisme* والإمكانية البشرية *Possibilisme* خلال ق 19م، واعتمادهما على مبدأ السببية في إنجاز الدراسات الجغرافية، ازدواجية في الفكر الجغرافي مما ساهم في انحراف الجغرافيا عن مطمحها العلمي. ونشأت مدارس جغرافية تنتقد وتعارض هذه الازدواجية، وتبنت المنهج الإقليمي في دراسة الظواهر الجغرافية، وأهمها :

1-2- المدرسة الألمانية

نادى روادها برفع الحدود بين الدراسات الطبيعية والدراسات البشرية في الجغرافيا لأن موضوعها هو دراسة الترابط بين مختلف الظواهر الموجودة فوق سطح الأرض. ويعتبر الجغرافي الألماني **Alfred Hettner** (1859- 1941) من المدافعين عن هذا التوجه فهو يرى أن هدف الجغرافيا هو معرفة التباينات المجالية من إقليم إلى آخر عبر سطح الأرض واستنتاج العوامل التي ساهمت في تلك التباينات. فقد قسم سطح الأرض إلى أقاليم طبيعية كبرى على أساس مميزاتها المناخية والنباتية، وكل إقليم طبيعي كبير يتم تقسيمه إلى أقاليم طبيعية صغرى قصد دراستها والوقوف على الترابطات بين الوسطين الطبيعي

والبشري. كما أكد أحد روادها الآخرين الجغرافي الألماني **Otto Schlüter** (1872-1959) أنه لا يمكن الفصل بين المشهد الطبيعي والمشهد الثقافي في الدراسة الجغرافية.

2-2- المدرسة الفرنسية:

اعتبر فيدال دو لابلاش أن الوسط الطبيعي والوسط البشري يشكلان مزيج واحد، وبناء على هذا الاعتبار قسم فرنسا إلى عدة أقاليم متباينة ولكل منها طابع خاص نتيجة التفاعل بين الإطارين الطبيعي والبشري. ولقد أثرت المدرسة الفرنسية كثيرا في الفكر الجغرافي لدرجة أن بعض روادها أسسوا للاتجاه الإمكانية في الدراسات الجغرافية.

2-3- المدرسة البريطانية :

اعتبر رائد هذه المدرسة الجغرافي الأسكتلندي **Hugh Robert Mill** (1861-1950) أن سطح الأرض يضم مجموعة أقاليم طبيعية تتأثر بتدخل الإنسان وتؤثر فيه. وساعده هذا الاقتناع على تقسيم إنجلترا إلى أقاليم طبيعية، وأكد على أن دراسة المشهد هي الهدف الرئيسي لأي دراسة جغرافية إقليمية. وفي نفس السياق سيؤكد الجغرافي الإنجليزي **Herbert John Fleure** (1877-1969) أن الدراسة الإقليمية يجب أن تقوم على البحث في التفاعل بين الوسطين الطبيعي والبشري. بعد الحرب العالمية الثانية ستتبنى هذه المدرسة مفهوم الإقليم الوظيفي (تفاعل بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها).

2-4- المدرسة الأمريكية:

اعتنقت هذه المدرسة أفكار الاتجاه الإمكانية، وتبنت مفهوم الإقليم الوظيفي. ويعتبر الجغرافي الأمريكي **Derwent Whittlesey** (1890-1956) أحد روادها الذين تجاوزوا الدراسة الإقليمية التقليدية إلى دراسة إقليمية تهم بوادي (أرياف) تشغل مساحات صغيرة متجانسة على مستوى طريقة استغلال الإنسان للأرض (أساس اقتصادي)، أي أن التركيز في هذا النوع من الدراسات كان يهتم بالدرجة الأولى أثر الإنسان في الوسط الطبيعي الذي يعيش فيه. ومن بين الجغرافيين الأمريكيين الذين دعموا هذا التوجه في الدراسات الإقليمية نذكر **Richard Hartshorne** (1899-1992) و **Carl Sauer** (1889-1975).

3- خطوات البحث الجغرافي

ونعني بذلك المراحل التي يجب على الباحث في الجغرافيا أن يسلكها حتى يعالج المشكل المطروح ويصل إلى الحقيقة المتوخاة. وكلما تم تهيين وتخطيط هذه المراحل بناء على أسس علمية إلا وترتبت عنها نتائج ناجحة ذات قيمة علمية. وسنلخص هذه الخطوات في:

3-1- اختيار موضوع البحث:

خطوة يجب أن تتميز باختيار موضوع هادف يعود بالفائدة على الباحث وعلى مجتمعه؛ وأن يكون محددا ويتسم بالأصالة والجدة والوضوح؛ وتوفر المادة العلمية التي سيعتمدها الباحث كوسيلة لمزيد من البحث والتقصي في الموضوع المختار؛ ومراجع البحث باللغة (أو اللغات) التي يجيدها الباحث؛

3-2- تحديد المجال المبحوث:

أي تحديد موقع وموضع المجال الجغرافي الذي توجد ضمنه الظاهرة الجغرافية المدروسة، طبيعية كانت أو بشرية، وفق قواعد علمية وذلك باعتماد خريطة أو خرائط طبوغرافية وموضوعاتية تغطي المجال المبحوث، كما يمكن اعتماد التكنولوجيا الحديثة في هذا التحديد ك: نظام المواقع العالمي Global Positioning System (GPS)، أو بواسطة الاستشعار عن بعد La télédétection spatiale اعتمادا على صور فضائية.

3-3- الهدف من البحث:

الأمر يتعلق بمعالجة مشكلة ذات طابع جغرافي أو سد حلقة ضمن سلسلة من الدراسات الجغرافية التي سبق التطرق إليها. يجب أن يكون الهدف واضحا ويجيب عن السؤال الإشكالي المطروح من طرف الباحث. (مثال توسع المجال الحضري لمدينة X على حساب الأراضي الزراعية)

3-4- أهمية البحث:

توضيح مدى الاستفادة من الدراسة الجغرافية موضوع البحث، مثلا استخدام SIG في دراسة نشاط بشري بغرض تشخيص المعوقات التي يعاني منها المجال المدروس والحلول المنتظرة لمواجهتها.

3-5- دوافع اختيار البحث:

قد تكون دوافع ومبررات ذاتية خاصة بالباحث، مثلا يجد ذاته وراحته في الاشتغال في مواضيع ذات صلة بالجيومورفولوجيا، أو أنه ينتمي للمجال مدروس؛ ودوافع موضوعية مثلا ندرة الدراسات حول الموضوع المختار، أو المساهمة إلى جانب الفاعلين الآخرين في إعداد وتنظيم المجال الريفي لإقليم أو جهة ما.

3-6- مشكلة البحث:

تتم صياغة مشكلة البحث بواسطة طرح سؤال أو أسئلة، وبالتوصل إلى الإجابة عنها ينتهي الاشتغال في موضوع البحث. وهذه الأسئلة هي التي ستوجه عمل الباحث في الجغرافيا وبالإجابة عنها قد تفتح له الباب لأفكار جديدة قد تكون دافعا لأبحاث أخرى.

3-7- فرضيات البحث:

الفرضيات هي إجابات مؤقتة أو تنبؤية أو محتملة عن الأسئلة المطروحة في إطار مشكلة البحث ، ويجب أن تكون قابلة للقياس حتى يتم التحقق والتأكد منها إما بإثباتها أو ضدها.

3-8- منهج البحث:

أي تحديد مجموعة إجراءات للوصول إلى النتيجة النهائية، واختيار المنهج السليم يساهم في إنجاز البحث بطريقة علمية، ويمكن التمييز بين منهجين أساسيين:

أ- **المنهج الاستقرائي**: ويتم خلاله الانطلاق من الجزء إلى الكل، أي اعتماد الملاحظة والتجريب واختبار الفرضيات للوصول إلى قاعدة علمية تتحكم في الظاهرة موضوع البحث.

بالنسبة لدراسة ظاهرة جغرافية اعتمادا على هذا المنهج يتم اعتماد ثلاث مراحل أساسية:

- الملاحظة العلمية (التفصيلية) وجمع المعلومات بمختلف أشكالها داخل مجال جغرافي محدد؛
- هيكلة ما تم تجميعه من معطيات وتصنيفها وإنجاز الخرائط الخاصة بها، على اعتبار أن الخريطة هي إحدى أدوات التعبير عن الظواهر الجغرافية وتمثيلها؛
- رصد الروابط والاستنتاجات والبحث عن العلاقة السببية.

ب- **المنهج الاستنباطي أو الاستدلالي**: ويتم خلاله الانطلاق من الكل إلى الجزء، أي الانطلاق من بناء نظري يفترض تفسير الواقع من أجل اختبار ميدانيا. هذا المنهج يعتمد في الأول تحديد الإشكالية والظواهر التي سيتم تحليلها؛ ثم صياغة فرضيات البحث والإجابات المحتملة؛ وأخيرا اختبار الفرضيات ميدانيا حتى يتم التمكن إما من ضحدها أو قبولها.

3-9- مراحل الدراسة:

إن تحديد مراحل الدراسة مرفوقة بجدولة زمنية تساعد الباحث على الاشتغال بطريقة منظمة ، ويمكن التمييز في هذه الخطوة بين ثلاث المراحل كالاتي:

- **المرحلة الأولى** يتم خلالها جمع المادة العلمية المرتبطة بموضوع البحث وترتيب المعطيات والمعلومات وتصنيفها؛

- **المرحلة الثانية** وتهم الدراسة الميدانية التي تعتبر أساسية في الدراسات الجغرافية لأنها توضح للباحث الجوانب الخفية من موضوع البحث؛ وتكشف عن طبيعة المشكلة التي يبحث عن حلها؛ وتمكنه من التأكد من صحة المعطيات التي يتوفر عليها عن المجال المدروس؛ وتحيين المعطيات. وتنتهي هذه المرحلة بتحليل المعطيات واستخلاص النتائج، ويمكن للباحث اعتماد مايناسب موضوع بحثه من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات: التطبيقات والبرامج المعلوماتية، نظم الاستشعار عن بعد، نظم المعلومات الجغرافية SIG؛

- **المرحلة الثالثة** وتتعلق بعملية الكتابة والتحرير وتقديم المنتج.

4- المفاهيم المهيكلية للمعرفة الجغرافية.

سنعتمد في هذا المحور على أطروحة امحمد زكور (1990) :

ZGOR, M'hammed, (1990), Géographie et Formation intellectuelle : Contribution à l'élaboration d'un modèle didactique et à son application au niveau de l'évaluation de licenciés marocains au seuil de la profession d'enseignant, Thèse de doctorat en Sciences de

خاصة في قسمها الأول الذي تناول الجانب النظري من هذه الدراسة مستهدفا فيه بناء نموذج ديداكتيكي للارتقاء بتدريس الجغرافيا من خلال تحديد مجالاتها ومفاهيمها المهيكلية، ونهجها، ووسائلها، وإنتاجاتها. وحسب المطلوب من هذا المحور سنركز فقط على المفاهيم المهيكلية .
تنتظم المعرفة الجغرافية حول ثلاثة مفاهيم مهيكلية وهي :
المورفولوجيا – الحركة – التوطن.

1-4- مفهوم المورفولوجيا La morphologie :

هذا المفهوم مرتبط بإبراز ودراسة الشكل الخارجي لمكونات الظاهرة الجغرافية، طبيعية كانت أو بشرية (المشهد الريفي، الجبل...). وتميز هذا المفهوم ثلاث سمات: الشكل؛ البنية؛ الحجم.
- الشكل La forme : أي الخصائص الخارجية للظاهرة الجغرافية، مثل وصف شكل سطح هضبي (متقطع، متموج...)
- البنية La structure : أي المكونات الداخلية للظاهرة الجغرافية، مثل دراسة البنية العقارية بمجال ريفي أو حضري...
- الحجم La forme : أي البعد الكمي للظاهرة الجغرافية (قياس المساحة، الكثافة، المسافة...).

2-4- مفهوم التوطن La localisation :

يقع هذا المفهوم في صميم انشغالات واهتمامات الدراسات الجغرافية، وهو ما يميز الجغرافيا ضمن باقي العلوم الإنسانية. إن التوطن الدقيق للظاهرة الجغرافية المراد دراستها يسمح بدراسة التمايزات والتباينات المكانية . وهنا لابد من استحضار مفهومي الموقع والموضع، الموقع من الإحداثيات الجغرافية (توطن مطلق)، والموضع بالنسبة للظواهر الجغرافية المجاورة للمجال المدروس كالتضاريس ، المجالات الحضرية المجاورة... (توطن نسبي). ألم يقل الجغرافي الفرنسي دو لابلاش أن الجغرافيا هي علم المكان، في إشارة ضمنية إلى أهمية التوطن في الدراسات الجغرافية.
على مستوى التمثيل الخرائطي يتخذ التوطن ثلاثة أشكال : توطن نقطي ponctuelle (مثلا مصنع، سوق تجاري...)، توطن خطي linéaire (سكة حديدية، مجاري مائية...)، توطن نطاقي zonale (تربة، هضبة...).

3-4- مفهوم الحركة Le mouvement :

الظواهر الجغرافية لا تستقر على حال ، وعلى غرار أي وسط حي يشهد المجال الجغرافي حركات تنشط إعادة تنظيمه. ولدراسة هذه الحركات ضروري من موقعتها في الزمان وتوطينها في المكان حسب طبيعة الموضوع المدروس (حركة المجاري المائية، الهجرة بمختلف أشكالها...).

يقوم مفهوم الحركة على اتجاهين:

- **الحركة في الزمان**، أي تطور الظاهرة الجغرافية عبر مراحل زمنية، مثلاً تطور الإطار المبني لمدينة ما من 1920 إلى 2020، وهنا حضور البعد التاريخي.
- **الحركة في المكان/ المجال**، مثلاً تنقل السلع عبر العالم مابين صادرات وواردات، تنقل الأشخاص...

5- أداة نظم المعلومات الجغرافية

تتيح نظم المعلومات الجغرافية عملية ربط المعلومات مكانياً مع توفر إمكانيات التحليل المكاني للمعلومات. وتعرف بأنها تلك بنوك المعلومات التي يتم بواسطتها جمع المادة الجغرافية وتخزينها إلكترونياً ثم تحليلها ومعالجتها بواسطة برامج تطبيقية للحصول على نتيجة نهائية سواء على هيئة رسم بياني، جداول، أو تقارير علمية.

ويعرفها الباحث الأردني خلف حسين الدليمي (2011) بأنها نظام يعتمد أساساً على استخدام الحاسب في تجميع ومعالجة وعرض وتحليل البيانات المرتبطة بمواقع جغرافية لاستنتاج معلومات ذات أهمية كبيرة في اتخاذ قرارات سياسية.

يتفق المهتمون بنظم المعلومات الجغرافية أن ظهورها لأول مرة يعود إلى سنة 1964 بكندا وبعدها الولايات المتحدة الأمريكية خلال نفس السنة وبالضبط بجامعة هارفارد حيث تم إنتاج النسخة الأولى من برنامج خاص بإنتاج الخرائط بواسطة الحاسوب. وتعتبر سنة 1970 التي انعقد خلالها أول مؤتمر في نظم المعلومات الجغرافية، بداية تزايد اهتمام الجامعات والحكومات بها.

خلال سنوات الثمانينيات ستشهد بداية الثورة المعلوماتية لنظم المعلومات الجغرافية بفضل التطور السريع الذي شهدته مكونات الحاسوب والمتمثلة في سرعة معالجة البيانات وتعدد إمكانات التخزين وانخفاض أسعارها.

تزايد اهتمام الجامعات والمعاهد، خلال التسعينيات، بتدريس SIG نتيجة تضاعف قدرات الأجهزة والبرامج وظهور طرق تحديد المواقع بالأقمار الصناعية عن طريق Global Positioning System (GPS)، ووفرة الصور الفضائية وما تحمله من معلومات كثيرة عن سطح الأرض.

وباعتماد الاستشعار عن بعد La télédétection spatiale مع مطلع ق 21 توفرت معلومات ومعطيات مفصلة ودقيقة مما سمح بنشرها عبر شبكة الأنترنت للعموم قصد الاستفادة مما توفره نظم المعلومات الجغرافية.

من بين أهم مميزات SIG : (المملكة العربية السعودية، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني)

- تساعد في تخطيط المشاريع الجديدة والتوسعية؛
- تساعد على الوصول إلى كمية كبيرة من المعلومات بفاعلية عالية وفي وقت وجيز؛

- - تساعد في نشر المعلومات لقاعدة واسعة من المستفيدين والمهتمين؛
- - تدمج المعلومات المكانية والمعلومات الوصفية في قاعدة معلومات واحدة؛
- - القدرة العالية في التحليل المكاني ؛
- - القدرة على التمثيل المبياني والخرائطي للمعلومات المكانية.

يدعي العديد من الباحثين أن الجغرافيا مجرد علم يقع في مفترق طرق العلوم التي يستثمر نتائجها. غير أن منذ أواخر ق 20 ومطلع ق 21 أصبحت أمام إشكاليات جديدة تفرض عليها مواجهة مسارات جديدة وتطوير أدوات بحثها، ومن بين المواضيع التي أصبحت تنير اهتمام الجغرافيين في هذا السياق: المجالات الهامشية، التنمية، الذهنيات، التمثلات...